هذه الطبقات هي ذاتها التي قادت حملات الملاحقة والاضطهاد ضدّ اليهود؛ وهي نفسها «القابلة القانونية» لولادة الحركة الصهيونية. وهنا تكمن المفارقة الواضحة في ادعاء الصهيونية انها قامت لتحل مشكلة اليهود بينما هي، في الواقع، منذ تأسيسها وعبر تاريخها، حليفة أمينة على مصالح أكثر الطبقات رجعية وأكثرها عداء لليهود. من هنا نتبين انه في تطلعات البرجوازية الاحتكارية نحو الأسواق الخارجية، يكمن السّر في ولادة الحركة الصهيونية. وليس في تطلع اليهود نحو «خلاصهم التاريخي» على أيدي «المخلص الصهيوني». وهنا أيضاً يكمن سر نجاح الحركة الصهيونية في اقامة دولتها بالقوة واغتصاب اراضي الغير، على انقاض المجتمع الفلسطيني، بما استتبعه ذلك من تشريد للشعب الفلسطيني عن أرضه، وخلق مشكلة جديدة، على الصعيدين المحلي والدولي، هي المشكلة الفلسطينية.

ان أزمة الحل الصهيوني تكمن منذ البداية، في جوهره العدواني الاستيطاني، والذي هو جوهر الاستعمار والامبريالية. لهذا يمكننا بحق اعتبار نشوء المسألة الفلسطينية بمثابة انعكاس صارخ لهذه الأزمة. ويمكننا أيضاً أن نؤكد حقيقة أخرى، وهي أن خلق المسألة الفلسطينية هو الوجه الآخر للحيلولة دون حل مشكلة اليهود.

ولأن حل مشكلة ما، حلّاً صحيحاً، لايكون بخلق مشكلة أكبر منها، فان الحل الصهيوني لمسألة اليهود يدحض نفسه بنفسه، ويكشف عن الهوية الرجعية لهذه الحركة السياسية التي ظلت طوال تاريخها، مخلصة لمنشئها الاستعماري، فجاءت وليدة شرعية لاطماع الامبريالية، ليس في الشرقين الأدنى والأوسط فحسب، وانما في عموم العالم الثالث.

اليهود أمام الحل الصهيوني

تدحض الوقائع التاريخية ما تزعمه الدوائر الصهيونية والامبريالية عن رغبة اليهود أنفسهم في اشادة «الوطن القومي» والهجرة الى «أرض الميعاد». فمن الحقائق المعروفة تاريخياً، على سبيل المثال لا الحصر، ان يهود المانيا رفضوا عقد المؤتمر الصهيوني الأول في وطنهم المانيا. وهذا ما اضطر الحركة الصهيونية الى عقد مؤتمرها الأول في مدينة بازل بسويسرا. ومن المعروف أيضاً أن يهود بريطانيا اعتبروا الصهيونية، عند قيامها، وبالا عليهم. وليس أصدق من الأرقام دليلاً على عدم حماس اليهود للحل الصهيوني. ففي الفترة ما بين الأعوام ١٨٨٠ ــ ١٩٢٩، هاجر الى الولايات المتحدة الأميركية وكندا ما يزيد على الثلاثة ملايين يهودي، بينما لم يتجاوز عدد المهاجرين الى فلسطين، خلال الفترة ذاتها، مئة وعشرين الفاً (١٢٠,٠٠٠)[٣٩]، اصطدم العديدون منهم بقوانين للهجرة سنتها الولايات المتحدة وأوروبا الغربية للحدّ من هجرة اليهود اليها. مما اضطر العديد من هؤلاء المهاجرين، على غير رغبتهم، الى التوجه نحو فلسطين. وقد لعبت الاتصالات الدولية للحركة الصهيونية دوراً كبيراً في غلق أبواب الهجرة أمام اليهود الى غير فلسطين.

وفيما يتعلق بكثافة الهجرة اليهودية الى فلسطين، خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، فان الأمر مرتبط الى حد كبير بعلاقات التنسيق بين الحركة الصهيونية والسلطات النازية في المانيا آنذاك. وقد توج التنسيق بين الطرفين باتفاقيات مشتركة أشهرها اتفاقية هاعفراه[٤٠]، التي عقدت على أساس المصلحة المشتركة للرايخ الالماني والوكالة اليهودية